

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٣٩ : خ ١ - الزمن (الزمن هو البعد الرابع للأشياء) ، خ ٢ -
مفاصل الإنسان.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠٦-٠٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي
ولا اعتصامي ولا توكلّي إلا على الله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً
بربوبيته وإرغاماً لمن جدد به وكفر . وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، رسول الله
سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر . اللهم صل وسلم وبارك على
سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين . اللهم
ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على
كل شيء قدير . اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا
اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،
وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الزمن :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ انتظرنا عيدَ الأضحى المبارك ، وجاء عيد الأضحى المبارك ، وانقضى
عيد الأضحى المبارك . وانتظرنا من قَبَل شهر الصيام ، وأتى شهر الصيام، وانقضى شهر
الصيام . وانتظرنا عيد الفطر السعيد ، وأتى عيد الفطر السعيد ، وانقضى عيد الفطر السعيد .
انتظرنا موسم الحج ، وجاء موسم الحج ، وانتهى موسم الحج . ماذا يعني ذلك؟ إنه الزمن ، إنه
الزمن في حركته .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ النقطة إذا تحركت رسمت خطأ ، والخط إذا تحرك رسم سطحاً ،
والسطح إذا تحرك شكلاً حجماً ، والحجم إذا تحرك شكلاً زمناً . لذلك قال بعض العلماء: " الزمن
هو البعد الرابع للأشياء " . ما علاقة الزمن بحياتنا ؟ وما دوره في عقيدتنا ؟ وما مكانته في
تصوراتنا ؟ إن له أكبر حجمٍ في حياتنا ، بل إن حياتنا كلها هي الزمن فقط ، الإنسان - كما
يقولون - بضعة أيام كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه ، كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو
العزة والجبروت .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول المناطقة - أي علماء المنطق - كل حدثٍ لابد له من مُحْدِث ،
وكل حدثٍ لابد له من سبب ، وكل حدثٍ لابد له من مسرحٍ مكاني ، وكل حدثٍ لابد له من

ظرفِ زمني ، فالإنسان مُحدِّث ، لقد أحدثه الله عزَّ وجل ، لِمَ أحدثه ؟ وأين أحدثه ؟ وما الظرف الزمني الذي يستوعبه ؟ مسرحه المكاني الأرض ، وظرفه الزمني عمره ، والمُحدِّث هو الله ، وعلّة وجوده عبادة الله عزَّ وجل .
 علّة وجوده ، أو الهدف من وجوده ، أو سبب وجوده أسماءٌ ثلاثة لمسمّى واحد . موضوع الخطبة اليوم " الزمن " .

الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه :

أيها الأخوة الأكارم ؛ الزمن هو الإنسان ، تشتدُّ قيمة الزمن ، تعظم قيمة الزمن في حياة الإنسان حتى تنطبق عليه كُليّةٌ ، حتى إننا نقول : إنَّ الإنسان هو الزمن ، بضعة أيام ، كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه .
 لذلك الله سبحانه وتعالى يتحدّث كثيراً في كتابه عن خسارة الإنسان ، كيف يخسر الإنسان ؟ في بعض السور :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر: ١-٢]

وفي آية ثانية :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾

[سورة الكهف: ١٠٣]

ما معنى الخسارة ؟ معنى الخسارة أنك تمتلك رأس المال ، هل يقال لإنسان لا يملك درهماً خاسر ؟ خسر ماذا ؟ لا يوصف إنسان لا يملك رأس المال بالخسارة ، لأنه لا يملك ما يخسره ، لكنّ الذي يملك رأس مال صغيراً أو كبيراً إذا فقدّه فقد خسره ، فكيف إذا كان عمرك رأس مالك؟ فكيف إذا كان الوقت هو أنت ؟ فكيف إذا كنت بضعة أيام كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منك ؟ .
 أيها الأخوة الأكارم ؛ تصوروا إنساناً يملك مئة ألف ليرة ، أو يملك مليون ليرة ، وبدأ يُنفق منها على مصروفه اليومي ، لماذا يشعر بقلق شديد ؟ يقول بعض التُجّار : نأكل من رأس مالنا . لأن هذا الرأس المال من أجل أن تستثمره ، من أجل أن يعود عليك بالربح ، من أجل أن تأكل من رِيعِهِ لا من أصله ، فإذا أنفقت على مصروفك اليومي من أصل رأس مالك ، تشعر بقلق شديد ، تشعر بخسارة ما بعدها خسارة .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ حينما يُوصف الإنسان بأنه يخسر معنى ذلك أن له رأس مال . هذا الرأسُ المال إما أن تستثمره ، وإما أن تستهلكه ، الأحمق ، والغبيّ ، والغافل ، والجاهل هو الذي ينفق من رأس ماله . والعاقل ، والفالح ، والذكيّ ، والموفق ، والفائز هو الذي ينفق من رِيع ماله لا من أصل ماله .

لذلك يقول عليه الصلاة والسلام في خطبة من خطبه الجامعة المانعة ، قال :

((لا خير في العيش إلا لمستمتع واع أو عالم ناطق))

[كنز العمال عن علي]

لأن الجماد شيء له حيّز ، له وزن ، له عرض ، له ارتفاع ، له طول ، يشغل حيّزاً في العالم المادي ، بينما النبات شيء له حيّز ولكنه ينمو ، أما الحيوان فشيء له حيّز وينمو لكنه يتحرك ، الإنسان شيء له حيّز ، وينمو ، ويتحرك ، لكنه يفكر ، لكنه يعقل . .

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

[سورة الملك : ١٠]

علّة الشقاء تعطيل العقل ، " أرجحكم عقلاً أشدكم له حياً " . " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت " . ضبط جوارحه ، ضبط لسانه ، ضبط عينه ، ضبط أذنه ، ضبط يده ، ضبط رجله ، ضبط حركته ، ضبط دخله ، من أين جاء بالمال ؟ ضبط إنفاقه ، ضبط بيته ، ضبط زوجته ، ضبط بناته ، ضبط عمله فجعله وفق الشرع ، هذا هو الكيس ، هذا هو العاقل ، هذا هو الذكي ، هذا هو الفالح ، هذا هو المتفوق :

((الكيس من دان نفس وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هوها وتمنى على الله

الأماني))

[أخرجه الحاكم عن شداد بن أوس]

أيها الأخوة الأكارم ؛

((لا خير في العيش إلا لمستمتع واع أو عالم ناطق))

النطق والاستماع نشاط فكري ، نشاط عقلي ، هذا النشاط عطاء وأخذ ، نطق واستماع ، إلقاء وتلق ، هذا النشاط هو الذي يؤكد إنسانية الإنسان ، هو الذي يرفعك عن مستوى الجماد ، وعن مستوى النبات ، وعن مستوى الحيوان إلى مرتبة الإنسان ؛ ذلك المخلوق الأول ، والمخلوق المكرم . .

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

الْبِإِنْسَانِ﴾

[سورة الأحزاب : ٧٢]

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ

خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء : ٧٠]

((أيها الناس لا خير في العيش إلا لعالمٍ ناطقٍ ، أو مستمعٍ واعٍ ، أيها الناس إنكم في زمن

هدنة))

أنتم في هدنةٍ مع الله ، كما أن الطالب في أثناء العام الدراسي في هدنة ، متى يحاسب ؟ عند الامتحان ، ومتى يحدد مصيره ؟ بعد الامتحان ، لكنه في أثناء العام الدراسي في هدنة ، في سلامٍ مع الأساتذة ، ومع الإدارة ، لا يُدرى أينجح أم يرسب ؟ هو مخيرٌ بإمكانه أن يدرس أو ألا يدرس، أن يذاكر أو ألا يذاكر ، أن يداوم أو ألا يداوم . .

((إنكم في زمن هدنة وإن السير بكم لسريع))

ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها يغير الله من حالٍ إلى حالٍ ، ليسأل كلُّ منا هذا السؤال : كم مضى من عمري ؟ أربعون ، ثلاثون ، عشرون ، خمسون ، ستون . اسأل سؤالاً آخر : كيف مضت ؟ يقول لك : كلمح البصر ، ماذا بقي ؟ هل بقي بقدر ما مضى ؟ لا ندري. إذا مضى الذي مضى كلمح البصر ، فلا بدَّ من أن يمضي الذي بقي كلمح البصر . .

((وإن السير بكم لسريع ، وقد رأيتم الليل والنهار يبليان كل جديد))

الليل والنهار يعملان فيك ، كما قال سيدنا عمر بن عبد العزيز ، ألا تملك صوراً وأنت شاب ؟ انظر إليها من حينٍ إلى آخر ، وانظر إلى وجهك في هذه اللحظة الراهنة ، هذا من أثر الزمن ، هذا من أثر مُضيِّ الأيام والليالي ، مضىَّ الشهور والسنوات ، الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما ، إن لم تعمل فيهما فأنت في خسارة لأنك تستهلك رأس مالك . .

((وإن السير بكم لسريع))

هذا من خطبة النبي عليه الصلاة والسلام .

((وقد رأيتم الليل والنهار يبليان كل جديد))

لكل جديدٍ بهجة ، حينما يقتني الإنسان مركبةً أول مرة لا تسخو نفسه بنزع الغطاء الشفاف عن مقاعدها ، فرحاً بها ، انظر إليها بعد خمس سنوات ، بعد عشر سنوات ، وقد أكل عليها الدهر وشرب وملَّ منها . .

((يبليان كل جديد ، ويقربان كل بعيد))

مهما بدا لك الشيء بعيداً فالليل والنهر يقربانه . .

((ويأتيان بكل موعود))

وقد وُعِدنا بالموت وسيأتي الموت . فقال له المقداد عليه رضوان الله : يا رسول الله ما الهدنة ؟ قال :

((دار بلاءٍ وانقطاع))

من تعريفات النبي الجامعة المانعة ، من تعريفاته الدقيقة الدقيقة :

((دار بلاءٍ وانقطاع))

انقطاع ، يأتي الموت ليأخذ منك كل شيء ، هذه الأشياء الكثيرة التي جمعتها يوماً بيوم ، وأُسبوعاً بأُسبوع ، وشهراً بشهر ، وعماماً بعام ، وعقداً بعقد ؛ هذا البيت ، هذه المركبة ، هذه السُمة ، هذه المكانة ، هذه العلامة التجارية ، هذا الاسم المتألق ، هؤلاء الأولاد الذين أمامك ، هؤلاء حينما يأتي ملك الموت نغادر الدنيا ونترك فيها كل شيء ، هذا معنى :

((دار بلاءٍ وانقطاع))

البلاء الامتحان . .

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[سورة الملك : ٢]

((دار بلاءٍ وانقطاع فإذا التبست الأمور عليكم))

تداخلت الأفكار ، وكثرت المذاهب ، واختلف الناس ، واحتدم النقاش ، وكلٌ يدعي وصلاً بليلي ، وكلٌ يدعي أنه على حق ، هؤلاء مع هؤلاء ، وهؤلاء مع هؤلاء ، وهؤلاء لهم حججهم ، وهؤلاء لهم انتقاداتهم .

((فإذا التبست الأمور عليكم كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن))

كلام خالق الكون ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

((فإذا التبست الأمور عليكم كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع ، وماحل

مصدق ، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه قاده إلى النار))

إن لم تعباً بالقرآن ، إن لم تأتمر بأمر القرآن ، إن لم تنته عما نهى عنه القرآن ، إن لم تأخذ بحلال القرآن ، إن لم تدع حرام القرآن ، إن لم تصدق أخبار القرآن ، إن لم تصدق ما ينبئك به القرآن عن الغيب ، هذا معنى " جعله وراءه " .

((ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه قاده إلى النار ، وهو الدليل إلى خير

((سبيل))

ما هذه البلاغة يا سيدنا يا رسول الله ؟!

((أو هو دليل إلى خير سبيل ، من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدل))

[كنز العمال عن علي]

قراءة القرآن و العمل به ضماناً للإنسان من أزدل العمر :

أيها الأخوة الأكارم ؛

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[سورة التين : ٤]

الإنسان في سن الثلاثين ؛ قلبه ينبض ، وعروقه مرنة ، وورثته متسعان ، وعضلاته مفتولة ، وقوته نشيطة ، وأجهزته تعمل بانتظام ، كلما انقضى عامٌ إثر عام ، ضعفت العضوية ، وهنت القوة ، ضعفت الأجهزة ، ضعف عمل القلب ، ضعف عمل الرئتين ، ضعفت العضلات ، نخرت العظام ، هذا معنى :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾

[سورة التين : ٤-٥]

العضوية يسير خطها البياني نحو الهبوط بعد سن الثلاثين أو الأربعين ، نحو الهبوط إلى أن يبلغ أسفل سافلين ، إلى أن يُردَّ إلى أرذل العمر ، إلى أن يصبح كالطفل الصغير، إلى أن يصبح حشريّ المزاج ، ثقيل الظل ، إلى أن يصبح عبئاً على من حوله . .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[سورة التين : ٤]

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

انظر إلى الشاب . .

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾

[سورة التين : ٥-٨]

من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت ، اقرؤوا القرآن ، احفظوا القرآن ، افهموا القرآن ، اعملوا بالقرآن فهو ضمانه لكم من أرذل العمر ، ضمانه لكم من الخرف ، ضمانه لكم من الشيخوخة التي لا تحتمل ، أما المؤمن فيزداد تألقاً مع مضي الأيام . يا بني حفظناها في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر .

مفهوم الزمن في القرآن الكريم :

أيها الأخوة الأكارم ؛ مفهوم الزمن في القرآن الكريم دقيقٌ دقيق ، قال تعالى :

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾

[سورة البقرة: ١٤٨]

أنت حر ، وسرُّ سعادتك في الآخرة أنك حرٌّ في كسبك ، لأن عملك أساس سعادتك ، وأساس قيمة عملك أنك مخيرٌ في كسبه ، لذلك قال الله تعالى :

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾

[سورة البقرة: ١٤٨]

ما علاقة قوله تعالى بعد ذلك :

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[سورة البقرة: ١٤٨]

أي أنت الآن تتمتع بشيءٍ عظيم ، تتمتع بما يسمّى بحرية الكسب ؛ لك أن تصلي ، لك أن تفكر ، لك أن تتفق ، لك أن تطلب العلم ، لك أن تقرأ القرآن ، لك أن تطبق القرآن ، لك أن تدعو إلى الله ، أنت الآن تتمتع بشيءٍ لا يقدر بثمن ، إنها حرية كسبك . .

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَغْبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

استغلّ هذه الميزة ؛ أنك حرٌّ في كسبك ، منحك الله حرية الاختيار . .

﴿فَاسْتَغْبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

فإن لم تستبق الخيرات . .

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

إذا انتهى الأجل ختم العمل ، وألغى الاختيار ، وأصبح الإنسان رهناً عمله وكسبه . .

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾

[سورة المدثر : ٣٨]

دقة الآية في تنوع موضوعاتها ، وفي العلاقة الوثيقة بين موضوعاتها .

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا﴾

[سورة البقرة : ١٤٨]

أنت مخير ، واختيارك في كسبك سرُّ سعادتك الأخروية ، عليك أن تستبق الخيرات ، عليك ألا تسمح للزمن أن يسبقك ، عليك أن تسبق الزمن ، عليك أن تنفقه استثماراً لا استهلاكاً ، فإن لم تفعل يأتي ملك الموت أينما كنت . وقد قال بعض المفسرون : في أي مكانة كنت ، وفي أي مكان كنت . في أي مكانة أي مهما عظم شأنك ، مهما كثر من حولك ، مهما ازداد مالك ، مهما قوي سلطانك . .

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾

في أية مكانة كنتم ، وفي أي مكان أنتم ؛ في أطباق الهواء ، في أعماق البحار ، في أية قارة ، في أي بيت ، في أي نزهة . .

﴿فَاسْتَغْبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[سورة البقرة : ١٤٨]

ينتهي العمر ، وينتهي الاختيار ، ويختم العمل ؛ فإما إلى جنة يدوم نعيمها ، وإما إلى نارٍ لا ينفذ عذابها .

خصائص الوقت :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ من خصائص الوقت سرعة انقضائه ، الزمن يمرُّ مرّاً السحاب ، لكن دقيقة الأمل ساعة ، وساعة اللذة دقيقة ، مضيُّ الزمن مضيٌّ سريع ، لكن الزمن إذا احتوى المآسي والأحزان مرّاً بطيئاً فيما يبدو ، وإن احتوى الملذات والمسرات مرّاً سريعاً فيما يبدو .

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾

[سورة البقرة: ١٤٨]

لذلك من علامات سرعة انقضاء الزمن أن الله سبحانه وتعالى أشار إلى هذه الحقيقة فقال :

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ﴾

[سورة يونس : ٤٥]

عاش ثمانين عاماً ، عاش عُمرًا مديدًا ، كم لبثتم ؟

﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾

خصيصة أخرى للزمن أنه ما مضى منه لا يعود ، لا يعوّض ولا يعود ، لذلك ما دام هذا الزمن يمضي سريعاً ولا يعود إذاً هو أنفس شيء يملكه الإنسان ، فمن جهل قيمته أتت عليه ساعة ولكن بعد فوات الأوان عرف قيمة الزمن ، قال تعالى دققوا في هذه الآيات :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ﴾

[سورة المنافقون : ٩]

أَيُّ خَسِرُوا الوقت ، خسروا الزمن ، أي أنفقوا الزمن في اللهو ، في المتعة ، في المباحات ، ولم ينفقوه في الطاعات ، ولا في طلب العلم ، ولا في العمل الصالح ، إذاً هم خاسرون ، أنفقوا رأس مالهم ، أكلوا من رأس مالهم ولم يستثمروا رأس مالهم . .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى

أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[سورة المنافقون : ٩-١٠]

يأتي الجواب :

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة المنافقون : ١١]

معرفة قيمة الوقت عند الموت :

متى نعرف قيمة الوقت ؟ عند الموت ، يتمنى الرجل لو يدفع ماله كله لقاء ساعة تضاف إلى عمره ، يصلي فيها ركعتين ، كل ما يملك في الدنيا يتمنى أن ينفقه نظير ساعة واحدة ؛ يصلي فيها ركعتين . .

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة المنافقون : ١١]

هذا الموقف موقف ندم على قيمة الوقت ، وهناك موقف آخر يذكره الإنسان يوم القيامة ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾

[سورة فاطر : ٣٦-٣٧]

قال تعالى :

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾

[سورة فاطر : ٣٧]

الشيب هو النذير . .

((عبدى كبرت سنك ، وضعف بصرك ، وانحنى ظهرك ، وشاب شعرك ، فاستح منى فأنا

أستحي منك))

[ورد في الأثر]

سن الأربعون هي النذير ، الستون هي النذير ، القرآن هو النذير ، النبي هو النذير ، المصائب هي النذير ، موت الأقارب هو النذير . .

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾

[سورة فاطر : ٣٧]

الأمراض المتعلقة بالوقت :

أيها الأخوة الأكارم ؛ مرضان خطيران متعلّقان بالوقت ، المرض الأول : الغفلة ، ونعوذ بالله أن نكون من الغافلين ، قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

[سورة الأعراف : ١٧٩]

الذي يرى الآيات بعينه فلا يعتبر ، ويسمع قصص المنحرفين وعقوباتهم فلا يتعظ ، الذي لا يستخدم عقله لإدراك الحقائق هذا غافل ، والغافل مصيره إلى النار . .

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

[سورة الأعراف : ١٧٩]

المرض الآخر هو : التسويف ، هلك المسوّفون ، قال بعضهم : أيها الإنسان إنك بيومك ولست بغدك . كل إنسان يقول لك الآن ، إنسان عاقل ، الذي يقول لك : غداً . هذا جاهل وأحمق ، لأنك بيومك لا بغدك ، ما مضى فات ، والمؤمل غيب ، ولك الساعة التي أنت فيها ، لا تملك إلا هذه الساعة ، فإذا أردت أن تتوب فمن الآن ، إذا أردت أن تتفق فمن الآن ، إذا أردت أن تقرأ القرآن فمن الآن ، إياك والتسويف . قال :

((أيها الإنسان إنك بيومك ولست بغدك ، فإن يكن لك غدٌ فكن في غدٍ كما كنت في اليوم ، وإن لم يكن لك غدٌ لم تتدم على ما فرطت في اليوم))

هل هناك أعقل من هذه المحاكمة ؟ إنك بيومك لا بغدك ، إن كان لك غد فكن في غدك كما كنت في اليوم ، وإن لم يكن لك غد ، لا تتدم على ما فرطت في يومك .
لذلك قال بعض العلماء : سوف من جنود إبليس . إبليس له سلاحٌ خطير هو يقول له : سوف ؛ سوف تفعل ، سوف تتوب ، سوف تصلي ، سوف تطلب العلم ، سوف ، لهذا قال عليه الصلاة والسلام :

((اغتم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك))

[الجامع الصغير عن ابن عباس]

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مفاصل الإنسان :

أيها الأخوة الأكارم ؛ علماء التشريح ، ولاسيما التشريح الوصفيّ ، عدوا مفاصل الإنسان بعد أن شرّحوه ، وبعد أن جردوا جهازه العظمي ، وبعد أن درسوه دراسةً متأنيةً دقيقةً ، فعدوا مفاصل الإنسان على الشكل التالي : في عموده الفقري مئةٌ وسبعةٌ وأربعون مفصلاً ، خمسة وعشرون منها غضاريف بين الفقرات ، واثنان وسبعون منها بين الضلوع والفقرات ، وخمسون منها بين الفقرات عن طريق اللُّقيمات الجانبية ، ففي العمود الفقري مئةٌ وسبعةٌ وأربعون مفصلاً . وفي الصدر أربعةٌ وعشرون مفصلاً ، مفصلاً في عظم القَص ، وثمانية عشر مفصلاً بين القَص والضلوع ، ومفصلاً بين الترقوة ولوحي الكَتِف ، ومفصلاً بين لوجي الكتف والصدر ، مجموعهما أربعةٌ وعشرون .

وأما الطرف العلوي ففيه مفصلٌ للكتف ، وثلاثة للكوع ، وأربعة للرُسْغ ، وخمسة وثلاثون مفصلاً لعظام اليد . وأما الطرف السفلي فأربعةٌ وأربعون مفصلاً للفخذ ، وثلاثة للركبة ، وثلاثة للكاحل ، وسبعةٌ وثلاثون مفصلاً مفاصل عظام القدم . وأما الحَوْضُ فثلاثة عشر مفصلاً؛ اثنان للورك ، وأربعة العَصْصُص ، وستة عظيّمات الحُق .

والفك مفصلاً . مئةٌ وسبعةٌ وأربعون ، مع أربعةٍ وعشرين في الصدر ، مع ستةٍ وثمانين الطرف العلوي ، ثلاثةٌ وأربعون ضرب اثنين ، وثمانية وثمانون السفلي ، أربعةٌ وأربعون ضرب اثنين ، وثلاثة عشر الحوض ، واثنان الفك ، المجموع : ثلاثمئة وستون مفصلاً في جسم

الإنسان، هذا شيء معروف ، وبديهي ، وطلاب كلية الطب يدرسونه في السنة الأولى أو الثانية
— فيما أعلم —

لكن الشيء المدهش ، لكن دلائل النبوة أن النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي
رواه الإمام مسلم ، يشير النبي في عصر لا يمكن أن يُعلم عدد مفاصل الإنسان ، فيما روته
السيدة عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

**((إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِئَةَ مَفْصَلٍ - هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ- فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ ، وَهَلَّلَ اللَّهَ - قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - وَسَبَّحَ اللَّهَ - قَالَ :
سَبَّحَانَ اللَّهَ - وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ ، وَعَزَلَ حَجْرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، أَوْ شَوْكَةً ، أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ
النَّاسِ ، أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهَى عَنْ مَنكَرٍ ، عَدَدَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِئَةَ فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ
زَحَزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ))**

[مسلم عن عائشة]

هل يستطيع بشر في عهد النبي أن يعد عدد المفاصل التي كشفها علماء الطب الآن ؟ هذا
الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ، وله روايتان اثنتان . في رواية أخرى . .
((فعليه أن يتصدق عن كل مفصلٍ منه صدقة))

وفي روايةٍ ثالثة :

((فعليه لكل عظمٍ منها في كل يومٍ صدقة))

وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - هذا قول النبي
:-

**((في الإنسان ستون وثلاثمئة مفصلاً فعليه أن يتصدق عن كل مفصلٍ منها صدقةً ، قالوا : فمن
يطيق يا رسول الله ؟ قال : النخاعة في المسجد تدفنها))**

[أحمد عن بُرَيْدَةَ]

أي أي عمل في خدمة المسجد ؛ ولو نزلت قشة عن أرض المسجد ، ولو ساهمت في تنظيف
المسجد ، ولو قدمت خدمةً ، ولو أنفقت مالاً ، ولو أتيت بمصباحٍ ، ولو أتيت بجهازٍ ، قال : قال
الإمام المُنْذِرِيُّ صاحب الترهيب والترهيب :

((النخاعة في المسجد تدفنها - فهذا أقل عمل - والشيء تُحْيِيهِ عن الطريق، فإن لم تقدر

فركعتا الضحى تجزئ عنك))

[رواه الإمام أحمد واللفظ له ، وأبو داود ، وابن حبان ، وابن خزيمة في صحيحهما]

أليس هذان الحديثان من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ؟ عصر النبي ، هل في معطيات
العصر إمكان أن نعرف عدد هذه المفاصل ؟ مئة وسبعة وأربعون مفصلاً في العمود الفقري ،
خمسة وعشرون غضروفاً بين الفقرات ، اثنتان وسبعون بين الضلوع والفقرات ، خمسون بين
الفقرات عن طريق اللقيمات الجانبية ، أربعة وعشرون مفصلاً في الصدر ، اثنتان عظم القص ،
ثمانية عشر بين القص والضلوع ، اثنتان بين الترقوة ولوحي الكتف ، اثنتان بين لوحي الكتف

والصدر ، ثلاثة وأربعون في الطرف العلوي ، واحد مفصل الكتف ، ثلاثة الكوع ، أربعة الرسغ ، خمسة وثلاثون عظام اليد ، أربعة وأربعون الطرف السفلي ، واحد مفصل الفخذ ، ثلاثة الركبة ، ثلاثة الكاحل ، سبعة وثلاثون عظام القدم ، ثلاثة عشر الحوض ، اثنان الورك ، أربعة العُصعص ، ستة عَظِمَاتِ الحُق ، اثنان الفَك ، مئة وسبعة وأربعون مع أربعة وعشرين مع ثلاثة وأربعين - الطرف العلوي - ضرب اثنين يساوي ستة وثمانين ، مع أربعة وأربعين - الطرف السفلي - ضرب اثنين يساوي ثمانية وثمانين ، مع ثلاثة عشر مع اثنين يساوي ثلاثمئة وستين .

((إِنَّهُ خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِئَةَ مَفْصَلٍ ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ ، وَهَلَّلَ اللَّهَ ، وَسَبَّحَ اللَّهَ ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ ، وَعَزَلَ حَجْرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، أَوْ شَوْكَةً ، أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهَى عَنْ مَنكَرٍ ، عَدَدَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِئَةَ فَإِنَّهُ يُمَسِّي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ رَحَّزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ))

وفي رواية :

((فعليه أن يتصدق عن كل مفصلٍ منه صدقة))

وفي رواية :

((فعليه لكل عظمٍ منها في كل يومٍ صدقة))

والسُّلامى في تفسير اللغويين عظام الجسم ومفاصله . هذا الحديث رواه الإمام مسلم . وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((في الإنسان ستُّ وثلاثمئة مفصلاً ، فعليه أن يتصدق عن كل مفصلٍ منها صدقةً ، قالوا : فمن يطيق يا رسول الله ؟ قال : النخاعة في المسجد تدفنها ، والشيء تنحيه عن الطريق ، فإن لم تقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك))

قال المنذري : رواه أحمد واللفظ له ، وأبو داود ، وابن حبان ، وابن خزيمة في صحيحيهما . أيها الأخوة . . .

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

[سورة النجم : ٣-٤]

معطيات عصر النبي لا تسمح لا للنبي ولا لغيره إلا أن يكون يوحى إليه بهذه الحقائق .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن

طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودياننا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك . اللهم لا تؤمننا مكر ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وأماناً في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما نحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما نحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار ، ففسأل شرّ خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذنم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وببيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بديناهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولائهم إلى ما نحب وترضى ، إنك على ما نشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين